سلسلة مطويات شبكة بينونة

الثبات على العمل الصالح

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

في هذه الآية: يأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ ويوصيه بالثبات على الطاعة والمداومة على العبادة بأنواع القُربات في جميع الأوقات على اختلاف الحالات، حتى يأتيه الموت.

وهذه الوصية هي وصيَّتُه تعالى لعباده المؤمنين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي: استمروا على التقوى، واستقيموا عليها، واثبتوا على ذلك إلى الممات.

فامتثل ﷺ أمر ربِّه، وأرشد أُمَّته إلى المداومة على العمل الصالح -وإن كان قليلاً- لِمَا في الدوام على ذلك من النشاط، وزيادة الثواب بتكرر العمل، والاستعداد للقاء الله، ودوام الصِّلة به، وتحقيق العبودية له، وتعريف الآخرين بهذا العمل المداوَم عليه، ونحو ذلك من الفوائد التي لا تتحقق في العمل المنقطع، وهذا حقيقة الاستعداد للقاء الله، كان زياد بن جرير رحمه الله يقول: «تجهَّزتم؟» فسمعه رجل يقول: ما يعني بقوله: «تجهَّزتم؟» فيقول: «تجهَّزوا للقاء الله تعالى»(١)، ولهذا كان هدي نبيِّنا ﷺ الثبات على الأعمال الصالحة، والدلالة على ذلك.

وقد أخبر أن هذا العمل من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سُئِل: أي العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: « أدوَمُهُ وإن قلَّ »(٢).

وفي الصحيحين من حديث علقمة قال: سألتُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كيف كان عمل رسول الله ﷺ؟ ... قالت: « ...

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٩٧).
(٢) رواه مسلم (٧٨٢).

كان عملُه دِيمَةً »[٣]، أي: يداوم عليه من غير انقطاع، فلم يكن من هديه قطع العمل الذي يعملُه، بل يداوم على ذلك ويلازم فعلَهُ.

قال ابن كثير رحمه الله: «فجميع عمله كان على منوال واحد»[٤] اهـ، فمن سلك سبيل النبي ﷺ في هذا الباب وغيره، ومشى على طريقه كان أقرب إلى الله من غيره، ومتى علم الله من قلب عبده الحرص على صالح العمل أعانه وسدَّده وثبَّته.

وإن مما يُعين على الاستمرار على الأعمال الصالحة: اليقين بلقاء الله، وأن عمل المؤمن لا ينقضي إلا بالموت، والشعور بدوام التقصير.

قال الحسن البصري رحمه الله: «أبى قوم المداومة، واللهِ ما المؤمن الذي يعمل شهراً أو شهرين، أو عاماً أو عامين، لا والله، ما جعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون الموت»[٥].

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مُقصِّراً عن الدرجات العالية، فيستفيد بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل، والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص»[٦].

وإن من المظاهر المحزنة: ما يُرى على كثير من الناس -إلا من رحم الله- مِن تَرْكِ الطاعة التي كانوا عليها، بل والاطمئنان إلى قبولها، ومن هذا مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعده، وهو من فِعْل من بدَّل نعمة الله كفراً، وهذا خطأ عظيم يجب الحذر منه، وهو خلاف ما كان عليه سلفنا الصالح رحمهم الله،

---

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٦)، ومسلم (٧٨٣) واللفظ له.
(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٧٨).
(٥) رواه أحمد في الزهد (١٥٦٨).
(٦) جامع العلوم والحكم (١/٣٠٩).

فقد كان السلف يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من ردِّه، وهؤلاء هم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون ويُصلُّون ويتصدَّقون، وهم يخافون أن لا تُقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾»(٧).

يقول أبو عثمان الحيري رحمه الله وقد سُئِل: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: «علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً، وعلامة الشقاوة أن تعصي الله وترجو أن تكون مقبولاً»(٨).

إن من سمات المسلم الصادق حقّاً في عبوديته لله جَلَّ وَعَلَا: ثباته على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا ومداومته عليها، ومسارعته إلى أبواب الخير بكافة أنواعها ناصباً بين عينيه الاقتداء بالنبي ﷺ، والاهتداء بهدي أنبياء الله ورسله فقد وصفهم الله جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وواضعاً أمامه امتثال أمر ربِّه في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وإنَّ مَن نَظَر في واقع الصحابة رضي الله عنهم وتأمَّل في حالهم في القيام بالخير والمسابقة إليه يرى عجباً من كثرة أسئلتهم للنبي ﷺ في هذا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول

(٧) رواه الترمذي (٣١٧٥).
(٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٢٤٦).

الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى: سرور تُدخِلُه على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَيْناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأَنْ أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة- شهراً، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيّأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام »(٩).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: « لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليَسير على من يَسَّره الله عليه، تعبُد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. ثم قال: ألا أدُلُّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل. قال: ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ »(١٠).

وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كَثُرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به؟ قال: « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله »(١١).

إن شأن الصحابة مع الأعمال الصالحة عظيم -خاصَّة أبا بكر الصديق رضي الله عنه- فقد كان أعلى الصحابة همَّة وأقواهم في العمل الصالح، وإليكم هذا الحديث المبيِّن لذلك، عن

---

(٩) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٦٤٦).
(١٠) رواه الترمذي (٢٦١٦).
(١١) رواه الترمذي (٣٣٧٥).

أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة »(١٢).

ولِمَا كان عليه ﵁ من الخير والمسارعة إليه والحرص عليه فإنه يُدعى يوم القيامة من جميع أبواب الجنة، كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريَّان، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، فقال أبو بكر ﵁: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلِّها، قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم »(١٣).

فالله الله في الثبات على العمل الصالح بعد رمضان، فإن من علامات قبول الطاعة: الطاعة بعدها والمداومة عليها، فبذلك تُنال الحياة الطيبة، وعليه تُبنى السعادة، وبه تعلو الدرجات عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى مبيِّناً أن العمل الصالح سبب لقُرب العبد من ربِّه ومضاعفة ثوابه وأجره: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى

---

(١٢) رواه مسلم (١٠٢٨).

(١٣) رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

﴿تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

قال مالك بن دينار رحمه الله: «رحم الله من لزم القول الطيب، والعمل الصالح، والمداومة»[١٤].

وأخبر ﷺ أن للمرء أخِلاء ثلاثة، وهم متفاوتون في نفعه، ومرافقته، والوقوف معه، فاثنان منهما يتخلّيان عنه ويتركانه، والثالث يبقى مصاحباً له، فيدخل معه القبر، وهؤلاء الأخِلاء هم: الأهل والمال والعمل.

يقول ﷺ: «يَتْبع الميتَ ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يَتْبعُه أهلُهُ ومالُهُ وعملُهُ، فيرجع أهلُهُ ومالُهُ، ويبقى عملُهُ»[١٥].

ومن الأعمال التي يُستحب للمسلم أن يحرص عليها ويقوم بها بعد رمضان: صيام ستة أيام من شوال، يقول ﷺ: «من صام رمضان ثم أَتْبعه سِتّاً من شوال، كان كصيام الدهر»[١٦]، أي: من أدَّى فريضة الصيام على الوجه المشروع ثم أَتْبعها بصيام ست من شوال فكأنما صام الدهر كله -أي: السنة جميعها-؛ لقوله ﷺ: «من صام رمضان وسِتّاً من شوال، فقد صام السَّنة»[١٧]، ومراده ﷺ أن من فَعَلَ هذا يحصل له أجر صيام السَّنة بتضعيف الأجر، وقد جاء شرح تضعيف هذا الأجر في قوله ﷺ: «صيام رمضان بعشرة أشهر، وصيام السِّتة أيام بشهرين، فذلك صيام السَّنة»[١٨].

وهذه الأيام الست يُشرع للمسلم المبادرة بصيامها،

---

(١٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٧٣).
(١٥) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
(١٦) رواه مسلم (١١٦٤).
(١٧) رواه ابن حبان (٣٦٣٥).
(١٨) رواه ابن خزيمة (٢١١٥).

والأولى على من كان عليه قضاء رمضان أن يسارع إلى قضاء ما عليه؛ لأن القضاء واجب، وستّاً من شوال نافلة، والفرض آكد من النافلة، ولا يُشترط في صيام هذه الأيام التتابع والاتصال لإطلاقه ﷺ الصيام في شوال، وعليه فيصح صومها متصلة أو منقطعة، مجموعة أو متفرقة، فالأجر حاصلٌ وثابت بذلك كله، وقد دلَّ على صحة هذا قوله ﷺ: «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السَّنة»(١٩).

وليُعلم: أن موافقة الشرع في الصيام من شوال تتحقق بالإتيان بالعدد المذكور وهو ستة أيام؛ لأن هذا العدد مقصود لمشَرِّعها وهو الله تعالى، وعليه فلا يُصار لغيره لِمَا فيه من الاستدراك على الشرع والابتداع في الدِّين.

وختاماً: فالتواصي بالأعمال الصالحة ولزومها، والإقبال على العبادة والمواظبة عليها عمل صالح يحبه الله تعالى، وهو من هدي سلفنا الصالح، فما أحرانا بالاقتداء بهم والاتصاف بما كانوا عليه.

قال بلال بن سعد رحمه الله: «أدركتُ الناس يتحاثُّون على الأعمال الصالحة: الصلاة، والصيام، والزكاة، وفعل الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر...»(٢٠).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

لمزيد من المطويات

---

(١٩) رواه ابن ماجه (١٧١٥).

(٢٠) رواه أحمد في الزهد (٢٣٠٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٢٣).